المحاضرة رقم 17 :

الانتشار الفينيقي والتجارة

توطئة :

من الأمور الملفتة في الحضارة الفينيقية ، هو قدرة الفينيقيين على الوصول الى مناطق كثيرة من العالم القديم ، كما أنّ الفينيقيين منذ النصف الثاني من الألف الثالث ق.م ، بدأوا في محاولات حثيثة لتأسيس مراكز تجارية و مخازن و مستوطنات في كل المناطق التي تاجروا معها ، و دلت المخلفات الأثيرة كبيرة الانتشار على تواجد فينيقي مبكر في دلتا مصر و سواحل آسيا الصغرى و قبرص و رودس و بحر أيجة (**أنظر الشكل 32**)، وبعدها ظهرت مستوطنات الفينيقيين في الغرب في سواحل المغرب القديم و اسبانيا و صقلية و غيرها، وقد واكب كل ذلك محاولة هؤلاء الفينيقيين الاستقرار في تلك المناطق و إرسال جاليات تركت بصماتها الحضارية ومقابرها في مختلف تلك المناطق . (**أنظر الشكل 33**)

وقد عالجت الدراسات التاريخية المتعلقة بالفينيقيين هذه الظاهرة وعرفوا أن بواعثها كانت مُتعددة يُمكن إجمالها في الآتي:

- ❖ . جغرافية الساحل الفينيقي الطاردة و الغير ملائم للتوسع الأفقي، وإقامة أنشطة معهودة تسمح بالاستقرار، ومن ذلك الطابع الجبلي و ضيق السهول، إضافة الى كون فينيقيا منطقة جذب بشري ومالي بفعل الازدهار التجاري ، مما جعل ضرورة إيجاد مجال حيوي جديد أمراً ضروريا.
- ❖ . الموقع الجغرافي الاستراتيجي الذي كان نقمة على الفينيقيين في كثير من الفترات، و الذي جعلهم في مناخ جيو . سياسي مُعادي، بسبب كثرة الشعوب العنيفة و الغازية و الأكثر تعدادا من الفينيقيين و هو ما جعلهم أمام ضغط الأراميين و الأشوريين و العبرانيين من الشرق و المصريين من الجنوب و الحثيين من الشمال و شعوب البحر المدمرة غرباً، لذا كان التفكير في مجال حيوي بديل أمراً ملحاً و متجدداً .
- ❖ . موجبات تحقيق الثروة وإنجاح النشاط التجاري، وذلك بالبحث عن مواد تجارية من مصادرها و إيجاد أسواق جديدة .. ، إضافة الى السيطرة على الطرق التجارية و الخلجان و المعابر و الموانئ، والأمر ينطبق على البر كذلك في إقامة المخازن و المراكز التجارية و عقد الاتفاقيات و تأمين الطرق .

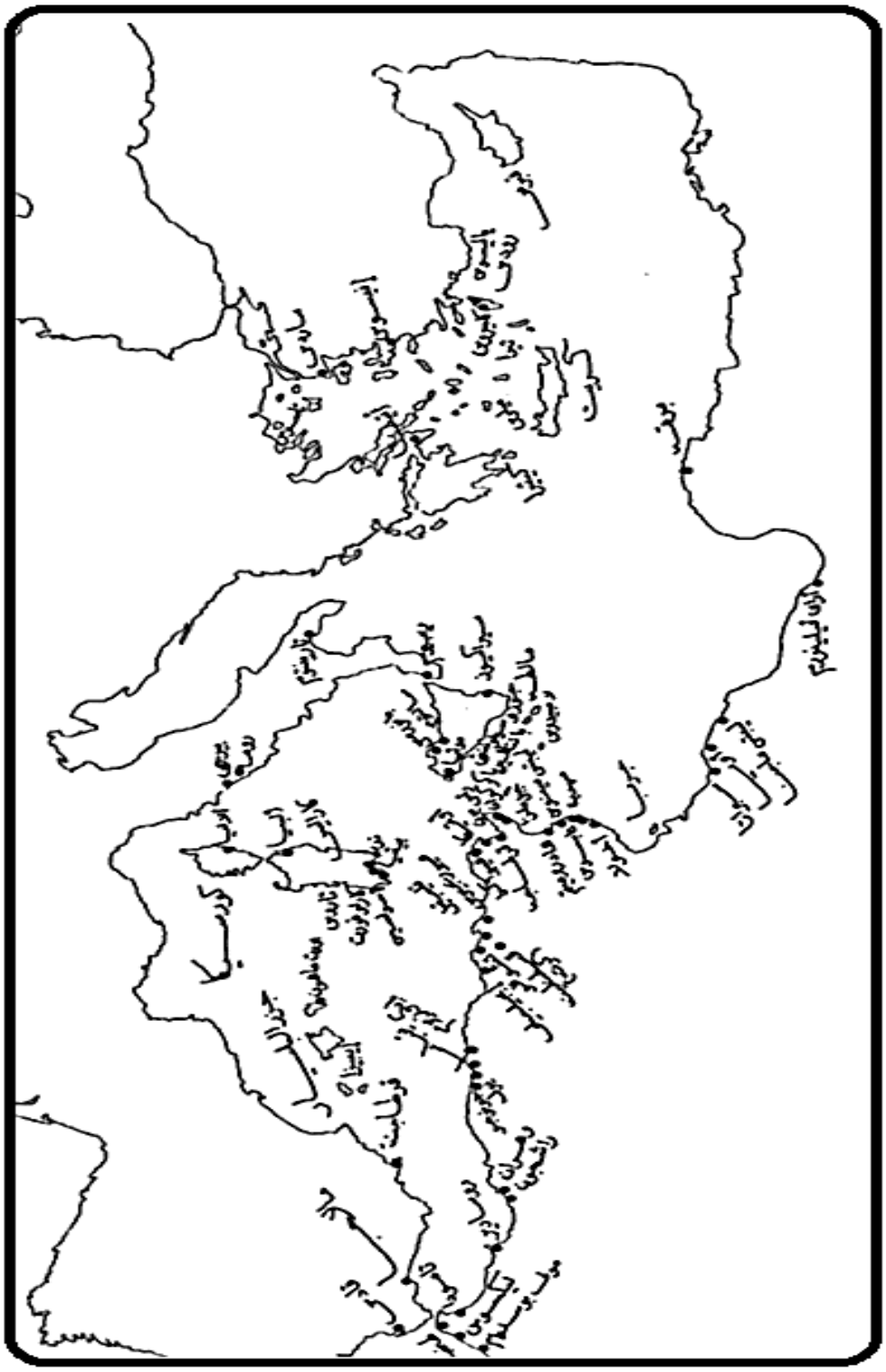

الشكل 31: المستوطنات الفينيقية

(أنظر: محمد أبو المحاسن عصفور، المدن الفينيقية، المرجع السابق، ص58)

*. الاستيطان الفينيقي في البحر المتوسط :

من الأمور التي ميّزت دول المدن الفينيقية هو ميلها الدائم للاستقلال الدائم عن بعضها البعض، ولعلّ عامل الجغرافيا كان له الدور الأبرز في منع تأسيس الدولة القُطر في العالم الفينيقي، وهنا أثبتت الدراسات محاولات بعض دول المدن الفينيقية الهيمنة على دول مدن أخرى في فترات تزعمها لفينيقيا، ومن ذلك محاولات "أوغاريت" و بعدها محاولات مدينة "صيدا "، و لأنّ نظام الدولة المدينة كان أمراً شبه حتمي على كثير من الحضارات حينها ، فقد عملت المدن الفينيقية على إيجاد مجال حيوي جديد ، يسمح بمداخيل جديدة . ولذلك نجد مدينة "اوغاريت " قد سيطرت باكراً على مناطق في جزيرة "قبرص" (مستوطنة كيتيون) و "رودس" (مستوطنتي "كاميروس" و "باليسوس") و جزر بحر إيجة في مستوطنات "تاسوس " و "كيثيرا" و " ميلوس " ..[1].

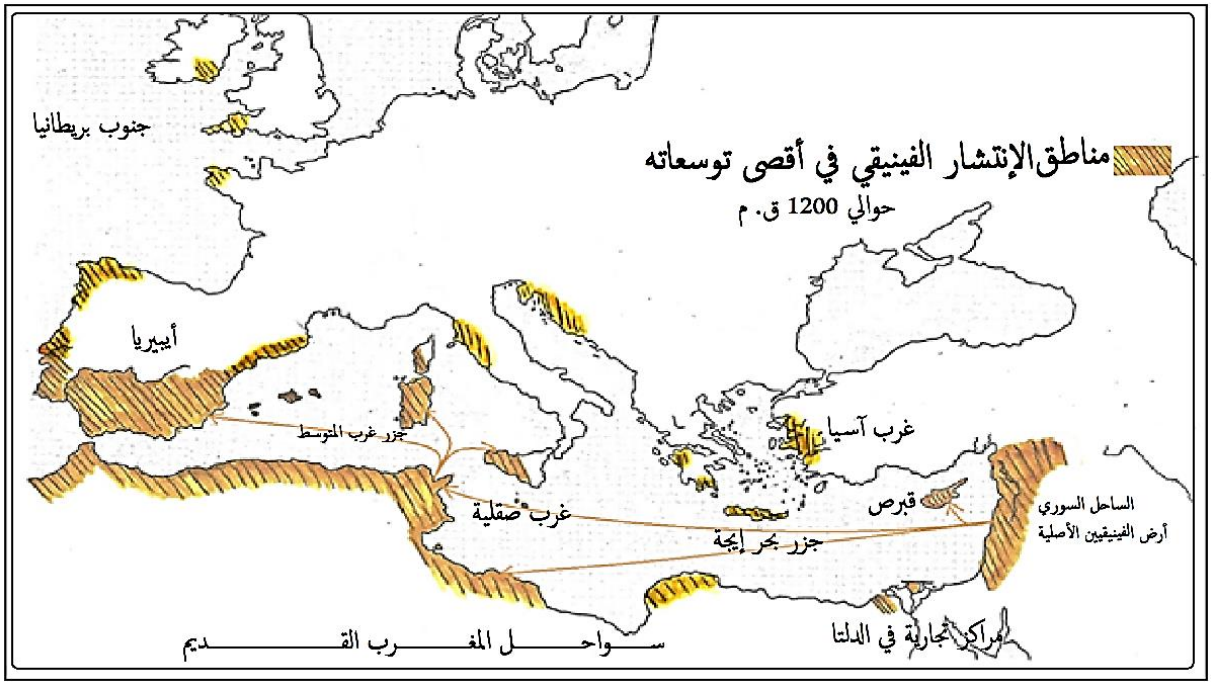

الشكل 33 : الانتشار الفينيقي . بتصرف المؤلف .

و كان للفينيقيين هيمنة على مراكز تجارية في سواحل و مدن "دلتا" مصر حتى أن المؤرخ هيرودوت ذكر من ضمن أحياء العاصمة "منفيس" المصرية "حي ساحة صور" ، في حين سارعت مدينة "صيدا" ومن بعدها مدينة "صور" للتوجه للغرب أين تسابقت الأخيرتين لتأسيس مستوطنات تجارية منذ القرن 12 ق.م في مناطق كثيرة بالغرب. (**أنظر الشكل 34**) و يُمكن التفريق بين المراكز التجارية و المستوطنات التجارية الفينيقية كالآتي:

[1] ـ محمد أبو المحاسن عصفور ، المدن الفينيقية ، المرجع السابق ، ص 55 .

المراكز التجارية الفينيقية	المستوطنات الفينيقية
• بُنيت في مناطق بها سلطة سياسية مثل دلتا مصر مقابل دفع ضريبة .	• تركزت في مناطق شبه خالية من سلطة سياسية قوية في جزر المتوسط و في ايبيريا و المغرب القديم
• تم إنشائها بمواد سريعة التلف كالأخشاب بحكم كونها مؤقتة	• في مواقع استراتيجية بمواد صلبة لأنها استقطبت جاليات فينيقية دائمة الاستقرار
• خالية من المقابر .	• احتوت على مقابر فينيقية .

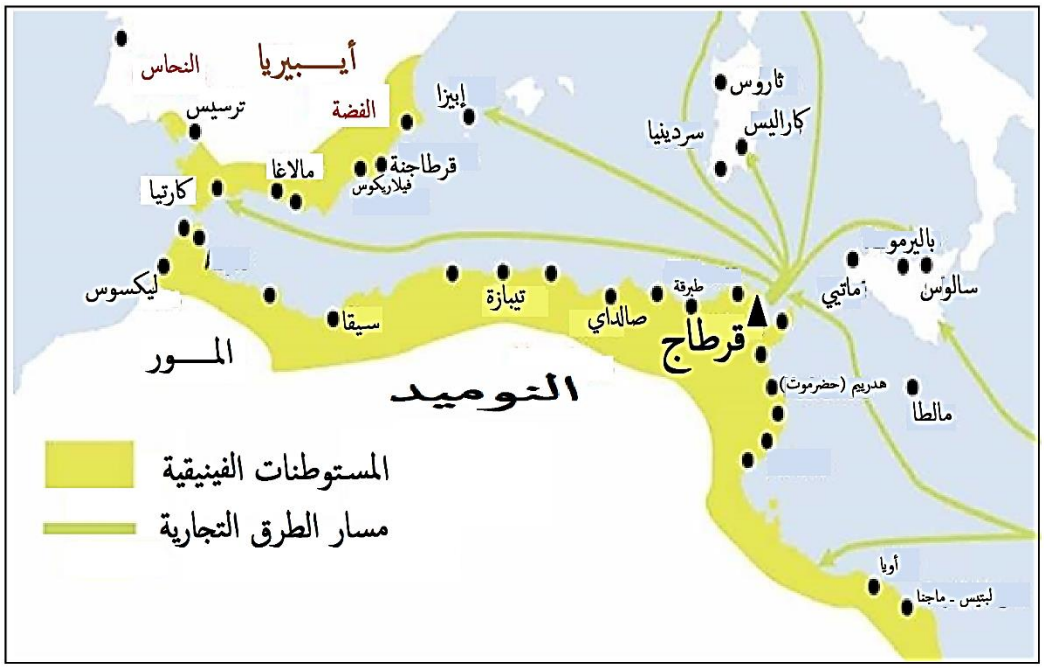

الشكل 34 : المستوطنات الفينيقية في غرب المتوسط . بتصرف المؤلف .